يقول الله تعالى: ((**والضحى. والليل إذا سجى**)) و((**الضحى**)): هو أول النهار، وفيه النـور والضـياء . ((**والليل إذا سـجى**)): هو الليل إذا غطى الأرض وسدل عليها ظلامـه، فأقسـم اللـه تعـالى بشيئين متباينين أولهما: الضحى وفيه الضياء والنور، والثـاني: الليـل إذا يغشى وفيه الظلمة. ((**والليل إذا سجى**)): أي غطى ((**مـا ودعك ربك وما قلى**)) أي مـا تركـك، ((**ومـا قلـى**)) أي: مـا أبغضك، بل الله عز وجـل يقـول لنـبيه صـلى اللـه عليـه وسـلّم: ((**واصبر لحكـم ربـك فإنـك بأعيننـا**)). فعيـن اللـه تعـالى تكلأه وترعاه وتحميه وتحفظه، وهو الذي قال له صلى الله عليه وعلى آله وسلم :((**الذي يراك حين تقوم وتقلبك في السـاجدين**))، فما تركه الله عز وجل بل أحاطه بعلمه، ورحمته، وعنايته وغير ذلك مما يقتضي رفعته في الدنيا والآخـرة، كمـا قـال فـي السـورة الـتي تليها: ((**ورفعنا لك ذكرك**)).((**وما قلى**)) أي: وما أبغض، بـل أحب الخلق إليه فيما نعلم محمد صلى الله عليه وعلـى آلـه وسـلم، ولهذا اختاره اللـه لأعظـم الرسـالات، وأفضـل الأمـم، وجعلـه خـاتم النبيين، فلا نبي بعده . ((**وللآخرة خير لك من الأولـى**)): هـذه الجملة مؤكدة بـاللام، لام الابتـداء.و((**الآخرة**)) هـي اليـوم الـذي يبعث فيه الناس، ويأوون إلى مثواهم الأخير إلى الجنة أو إلى النـار، فيقول الله لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((**وللآخـرة خيـر لك من الأولى**)) أي: من الدنيا، وذلك لأن الآخرة فيها مـا لا عيـن رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وموضع سوط أحدنا في الجنة خير من الدنيا وما فيهـا، كمـا جـاء ذلـك عـن رسـول اللـه صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ولهذا لما خيّر الله نـبيه صـلى اللـه عليه وعلى آله وسلم في مرضه بين أن يعيش في الدنيا مـا يعيـش وبين ما عند الله، اختار ما عند الله، كما أعلن ذلك صـلى اللـه عليـه وعلى آله وسلم في خطبته حيث قال وهو على المنـبر: (**إن عبداً من عباد الله خيره الله بين أن يعيش في الـدنيا مـا شـاء الله أن يعيش وبين ما عنده فاختار ما عنده**)، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، وتعجب الناس من بكائه كيف يبكي من هذا؟ ولكنـه رضي الله عنه كان أعلم الناس برسول الله صلى اللـه عليـه وعلـى آله وسلم، علم أن المخيّر هو الرسول صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسلم، وأنه **اختار ما عند الله وهو الآخـرة، وأن هـذا إيـذان**

بقــرب أجلــه. ((ولســوف يعطيــك ربــك فترضــى)) ((**ولســوف**)) اللام هــذه أيضــاً للتوكيــد وهــي موطئــة للقســم. ((**ولسوف**)) تدل على تحقق الشيء لكــن بعــد مهلــة وزمــن. و((**يعطيك ربك**)) أي يعطيك ما يرضيك فترضــى، ولقــد أعطــاه اللــه تعالى ما يرضيه وفوق ما يرضيه، فإن الله تعالى يبعثه يــوم القيامــة مقاماً محموداً، يحمده فيــه الأولــون والآخــرون، حــتى الأنبيــاء وأولــو العــزم مــن الرســل لا يســتطيعون الوصــول إلــى مــا وصــل إليــه، وسأحدثكم عن ذلك: إذا كان يوم القيامة، وعظم الكرب والغم على الخلق، وضاقت عليهم الأمور طلب بعضــهم مــن بعــض أن يلتمســوا من يشفع لهــم إلــى اللــه عــز وجــل فيــأتون إلــى آدم، ثــم نــوح، ثــم إبراهيم، ثم موســى، ثــم عيســى، هــؤلاء خمســة أولهــم أبــو البشــر، ونوح، وإبراهيم، وموســى، وعيســى، أربعــة مــن أولــي العــزم، فهــم خمسة أولهم آدم أبو البشر وأربعة من أولي العــزم كلهــم يعتــذرون عن الشفاعة للخلق حتى تصل إلى النبي صلى الله عليه وعلــى آلــه وسلّم فيقوم ويشفع، ولا شك أن هذا عطاء عظيم لم ينله أحــد مــن الخلق، ثم بيّن الله سبحانه وتعالى نعمه عليه، نعمه الســابقة حــتى يســتدل بهــا علــى النعــم اللاحقــة: فقــال: ((**ألــم يجــدك يتيمــاً فآوى**)): والاستفهام هنا للتقرير، يعني قد وجدك الله تعــالى يتيمــاً فآواك، يتيماً من الأب، ويتيماً من الأم، فإن أباه توفي قبل أن يولــد، وأمه توفيت قبل أن تتم إرضاعه، ولكنّ الله تعالى تكفل به ويسر له من يقوم بتربيته والدفاع عنه، حتى وصل إلى الغاية التي أرادها الله عز وجل. وقوله: ((**يتيماً فآوى**)) ولــم يقــل " فــآواك " لســببين: سبب لفظي، وســبب معنــوي. **أما الســبب اللفظــي**: فلأجــل أن تتوافق رؤوس الآيات من أول الســورة. **وأما الســبب المعنــوي**: فإنه قال: " فآواك " لاختص الإيواء بــه صــلى اللــه عليــه وعلــى آلــه وسلم والأمر أوسع من ذلك، فإن الله تعالى آواه، وآوى بــه، آوى بــه المؤمنين به فنصرهم وأيدهم، ودفع عنهــم بــل دافــع عنهــم ســبحانه وتعالى. ((**ووجدك ضالاً فهدى**)) ((**وجدك ضــالاً**)): أي غيــر عالم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلّم لــم يكــن يعلــم شــيئاً قبــل أن ينــزل عليــه الــوحي، كمــا قــال تعــالى: ((**وعلمــك مــا لــم تكــن تعلم**)). وقــال: ((**وما كنــت تتلــو مــن قبلــه مــن كتــاب ولا تخطه بيمينك**)). فهو صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعــرف شــيئاً

بل هو من الأميين ((**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم**)). لا يقرأ ولا يكتب، لكن وصل إلى هذه الغاية العظيمة بالوحي الذي أنزله الله عليه، فعلم وعلَّم وهنا قال ((**ضالاً فهدى**)) ولم يقل فهداك، ليكون هذا أشمل وأوسع فهو قد هدي عليه الصلاة والسلام، وهدى الله به، فهو هاد مهدي عليه الصلاة والسلام. إذاً فهدى أي فهداك وهدى بك. ((**ووجدك عائلاً فأغنى**)): أي وجدك فقيراً لا تملك شيئاً ،((**فأغنى**)): أي أغناك وأغنى بك قال الله تعالى: ((**وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها**)). وما أكثر ما غنم المسلمون من الكفار تحت ظلال السيوف، غنائم عظيمة كثيرة كلها بسبب هذا الرسول الكريم حين اهتدوا بهديه، واتبعوا سنته فنصرهم الله تعالى به وغنموا من مشارق الأرض ومغاربها، ولو أنّ الأمة الإسلامية عادت إلى ما كان عليه السلف الصالح لعاد النصر إليهم، والغنى، والعزة، والقوة ولكن مع الأسف أن الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر كل منها ينظر إلى حظوظ نفسه بقطع النظر عما يكون به نصرة الإسلام أو خذلان الإسلام، ولا يخفى على من تأمل الوقائع التي حدثت أخيراً أنها في الحقيقة إذلال للمسلمين، وأنها سبب لشر عظيم كبير يترقب من وراء ما حدث، ولاسيما من اليهود والنصارى الذين هم أولياء بعضهم لبعض كما قال الله تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض**)). وهم أعني اليهود والنصارى متفقون على عداوة المسلمين، كلٌ لا يريد الإسلام، ولا يريد أهل الإسلام، ولا يريد عز الإسلام، ونسأل الله تعالى أن يقينا شر ما حدث في الآونة الأخيرة من الأمور التي يندى لها الجبين، ولكن سينصر الله تعالى دينه مهما كانت الأحوال، فالله تعالى ناصر دينه وكتابه، وإن حصل على المسلمين ما يحصل فإن الله يقول: ((**وتلك الأيام نداولها بين الناس**)). فربما يأتي اليوم الذي يجاهد فيه المسلمون اليهود حتى يختبئ اليهودي تحت الشجر فينادي الشجر يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودي تحتي، فيأتي المسلم ويقتله، وما ذلك على الله بعزيز. ولكن المسلمين يحتاجون إلى قيادة حكيمة عليمة، عليمة قبل كل شيء بأحكام الشريعة ، لأن القيادة بغير الاستنارة بنور الشريعة عاقبتها الوبال، مهما علت ولو علت إلى أعلى قمة فإنها سوف تنزل إلى أسفل قعر، الهداية

بالإسلام، بنـور الإسـلام، لا بالقوميـة، ولا بالعصـبية، ولا بالوطنيـة ولا بغير ذلك، بالإسلام فقط، الإسلام وحده هو الكفيل بعزة الأمة، لكـن كما قلـت: لكـن تحتـاج إلـى قيـادة حكيمـة تضـع الأشـياء مواضـعها، وتتأنى في الأمور ولا تستعجل، لا يمكن أن يصلح الناس بيـن عشـية وضحاها، من أراد ذلك فإنه قد أراد أن يغير الله سنته، والله سبحانه وتعالى لا يغير سنته، فهذا نبي الله عليه الصـلاة والسـلام بقـي فـي مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله، ينزل عليه الوحي، يدعو بـالتي هي أحسن، ومع ذلك في النهاية خرج من مكة خائفاً مختفياً لم تتـم الدعوة في مكة، فلماذا نريد أن نغير الأمة التي مضى عليهـا قـرون وهي في غفلة وفي نوم أن نغيرها بين عشـية وضـحاها، هـذا سـفه، سفه في العقل، وضلال فـي الـدين، الأمـة تحتـاج إلـى علاج رفيـق، علاج رفيق هادئ يدعو بالتي هي أحسن، الأمة الإسلامية تحتـاج بعـد الفقه في دين الله والحكمة في الدعوة إلى اللـه، تحتـاج أيضـاً إلـى علم بالواقع وفطنة وخبرة، ونظر في الأمور الـتي تحتـاج إلـى نظـر بعيد، لأن النتائج قد لا تتبيّن في شهر، أو شهرين، أو سنة، أو سنتين، لكن العاقل يصبر وينظر ويتأمل حتى يعرف الأمور، يحتاج أيضاً إلـى عزم وتصميم وصـبر؛ فـإنه لابـد مـن هـذا لابـد مـن عـزم ينـدفع بـه الإنسان، ولابد من صبر يثبت به الإنسان وإلا لفـاتت الأمـور أو فـات كثير منها . قال عز وجل: ((**فأما اليـتيم فلا تقهـر**)) هـذا فـي مقابلة ((**ألم يجدك يتيماً فآوى**))، فإذا كان الله آواك في يتمك فلا تقهر اليتيم، بل أكرم اليـتيم، والإحسـان إلـى اليتـامى وإكرامهـم من أوامر الشريعة ومن حسنات الشريعة، لأن اليتيم وهو الذي مات أبوه قبل أن يبلغ منكسر الخاطر، يحتاج إلـى جـبر، يحتـاج إلـى مـن يسليه، وإلى من يدخل عليـه السـرور لاسـيما إذا كـان قـد بلـغ سـنًّا يعـرف بـه الأمـور كالسـابعة والعاشـرة ومـا أشـبه ذلـك. ((**وأمـا السائل فلا تنهر**)) هذا في مقابل قـوله؟ ايـش؟ لا، ((**ووجدك ضالاً فهدى**))، إذاً ((**السـائل فلا تنهـر**)) أول مـا يـدخل فـي السائل، السائل عن الشريعة عن العلم لا تنهره؛ لأنه إذا سألك يريد أن تـبيّن لـه الشـريعة وجـب عليـك أن تبيّنهـا لـه لقـول اللـه تبـارك وتعالى: ((**وإذ أخذ الله ميثاق الـذين أوتـوا الكتـاب لتـبيننه للناس ولا تكتمونه**)). لا تنهره إن نهرته نفرته، ثم إنك إذا نهرتـه وهو يعتقد أنك فوقه؛ لأنه لم يأت يسأل إلا أنه يعتقد أنـك فـوقه، إذا

نهرته وهو يشعر أنك فوقه أصابه الرعب واختلفت حواسه، وربما لا يفقه ما يلقي إليك من السؤال، أو لا يفقه ما تلقيه إليه من الجواب، وقس نفسك أنت لو كلمت رجلاً أكبر منك منزلة ثم نهرك ضاعت حواسك، ولم تستطع أن ترتب فكرك وعقلك، لهذا لا تنهر السائل، وربما يدخل في ذلك أيضاً سائل المال، يعني إذا جاءك سائل يسألك مالاً فلا تنهره، لكن هذا العموم يدخله التخصيص: إذا عرفت أن السائل في العلم إنما يريد التعنت، وأخذ رأيك وأخذ رأي فلان وفلان حتى يضرب آراء العلماء بعضها ببعض، فإذا علمت ذلك فهنا لك الحق أن تنهره، وأن تقول: يا فلان اتق الله ألم تسأل فلاناً كيف تسألني بعدما سألته؟! أتلعب بدين الله؟! أتريد إن أفتاك الناس بما تحب سكتّ، وإن أفتوك بما لا تحب ذهبت تسأل؟!. هذا لا بأس، لأن هذا النهر تأديب له. وكذلك سائل المال إذا علمت أن الذي سألك المال غني فلك الحق أن تنهره ولك الحق أيضاً أن توبخه على سؤاله وهو غني، إذاً هذا العموم ((**السائل فلا تنهر**)) نقول هذا العموم مخصوص فيما إذا اقتضت المصلحة أن ينهر فلا بأس.((**وأما بنعمة ربك فحدث**)) نعمة الله على الرسول التي ذكرت في هذه الآيات كم؟ كم يعني؟ ثلاثة ((**ألم يجدك يتيماً فآوى. ووجدك ضالاً فهدى. ووجدك عائلاً فأغنى**)) وبهذه الثلاث تتم النعم. حدث بنعمة الله قل: كنت يتيماً فآواني الله، كنت ضالاً فهداني الله، كنت عائلاً فأغناني الله، لكن تحدث بها إظهاراً للنعمة وشكراً للمنعم، لا افتخاراً بها على الخلق؛ لأنك إذا فعلت ذلك افتخاراً على الخلق كان هذا مذموماً. أما إذا قلت أو إذا ذكرت نعمة الله عليك تحدثاً بالنعم، وشكراً للمنعم فهذا مما أمر الله به. هذه كلمات يسيرة على هذه السورة العظيمة، وما نقوله نحن أو غيرنا من أهل العلم فإنه لا يستوعب ما دل عليه القرآن من المعاني العظيمة، نسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم الفهم في دين الله، والعمل بما علمنا إنه على كل شيء قدير.